سياسة الفاطميين في عزل رجال الدولة (358-567 هـ /969-1117م)

"دراسة تاريخية"

أ.م.د. محمود شاكر مشعان

المديرية العامة لتربية بابل

Politics of the Fatimids in the isolation of the men of the state (358-567AH / 969-1117AD)

"Historical Study"

Ass. Prof. Dr. Mahmood Shakir Misha,an

Directorate General of the Education of Babylon

drmahmodshaker@gmail.com

Abstract:

The nature of the fatimial state and its political trends has an important effect in the management of the state in Egypt. And quickly Egypt becomes the core of the Fatimic crown through the procedures which were taken by the Fatimain in the management of the state and the right planning and their depending on the experiences of Egyptian people from different doctrines and religions without any discrimination, and they did not exclude experienced owners who worked with the previous states. But this did not last because of the ambitions of some of the ministers, mediators, governors and other workers in reachiney the authority which made the caliphs or the (Successors) conduct the isolation procedures, especially in their age of power.

Keywords: isolation, effect, ambitions, deportation, Fatimids, goats, AlAziz, ruler.

الملخص:

إنَّ طبيعة الدولة الفاطمية واتجاهاتها السياسية كان لها أثر مهم في إدارة الدولة في مصر. فسرعان ما صارت مصر درة التاج الفاطمي، وذلك من خلال الإجراءات التي اتخذها الفاطميون في إدارة الدولة والتخطيط السليم، واعتمادهم على خبرات أبناء مصر من مختلف العقائد والأديان من دون تمييز، ولم يستبعدوا أصحاب الخبرات الذين عملوا مع الدول التي سبقتهم. لكن هذا الحال لم يستمر بسبب طموحات بعض العاملين من الوزراء والوسطاء والولاة والعمال الآخرين، في الوصول إلى سدة الحكم، مما جعل الخلفاء الفاطميين يقومون بإجراءات العزل، ولاسيما في عصر قوتهم.

الكلمات المفتاحية: عزل، الأثر، طموحات، الإبعاد، الفاطميون، المعز، العزيز، الحاكم.

المقدمة:

إنَّ قيام الدولة الفاطمية في أفريقية، (تونس الحالية)، سنة (297هـ/909م) لم يحقق للفاطميين طموحاتهم وأحلامهم في قيادة العالم الإسلامي، ومنافسة الدولة العباسية، إذ كانت أنظارهم تتجه نحو الشرق إلى مصر بوصفها مفتاح الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط الذي يؤهلها للتدخل في طرق البحر الأحمر واليمن والشرق الأقصى، بعد أنْ تحققت أنتصاراتهم على يد الخليفة المعز لدين الله، فلا شك أن فتحهم مصر سنة (358هـ/969م)، هو أعظم إنجازاتهم التي حفظت لهم مكاناً متميزًا في التاريخ، إذ أصبحوا أكبر قوة في العالم الإسلامي، فقد وصلت الدولة الفاطمية في أوائل حكم المستنصر الفاطمي (442-487هـ/1036-1094م)، إلى أقصى إتساعٍ لها، ضمن مصر، والشام، وشمال افريقيا، وصقلية والشاطئ الأفريقي للبحر الأحمر والحجاز واليمن وعُمان والبحرين والسِنْد، ويمكننا أن نطلق عليه العصر الذهبي للفاطميين.

ولسعة الدولة بسبب الفتوحات تطلّب الأمر تغير السياسة الداخلية والخارجية، فكان لابُدَّ من الاعتماد على عناصر سياسية وإدارية لقيادة المرحلة الجديدة وذلك يعود إلى التنوع الموجود في المجتمع المصري.

إنَّ الهدف من بحثنا معرفة سياسة الدولة الفاطمية تجاه الوزراء والوسطاء والولاة والعاملين الآخرين لدولتهم التي أصبحت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مترامية الأطراف ومعرفة التحديات التي واجهتهم سواء في بلاد المغرب أم الشام، وكيفية التغلب عليها وكبح جماح الولاة والعمال وضبط أدائهم وفقاً لما تراه الخلافة الفاطمية من حسن التعامل مع رعاياها في مختلف شؤون الحياة الإدارية والسياسية والاجتماية نظرًا للتحديات التي تواجهها الدولة من منافسيها في الداخل والخارج لاسيما الدولة العباسية والقرامطه لذا أتخذت الدولة الفاطمية سياسة العزل والابعاد لكل من حاول استغلال الدولة إدارياً أو سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً للحفاظ على هيبتها وقوتها.

ولا يفوتني أن أشير إلى بعض الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث، وهي كثرة العزل والابعاد وعدم ذكر أسباب هذا العزل والابعاد على كثرتها وعدم معرفتها وقد تضاءلت بفضل الله ومنته.

تحليل المصادر والمراجع:

أولا: المصادر الإسلامية:

وجد الباحث نفسه بين عدد من المصادر والمراجع المتنوعة التي أغنت البحث بمعلومات قيمة أفاد منها في البحث، ومنها: تاريخ الأنطاكي المعروف بـ(صلة تاريخ أوتيخا) لمؤلفه يحيى بن سعيد الأنطاكي (ت458هـ/1267م) يعتبر من المصادر التاريخية الأساسية في التراث العربي، تؤرخ لحقبة هامة، أما كتاب الكامل في التاريخ لمؤلفه عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم المعروف بـ(ابن الأثير) (ت630هـ/1232م)، فيعد موسوعة اخبارية لأحداث تاريخية، وهذا المؤلفَ من أهم المصنفات المشرقية التي تناولت التاريخ الإسلامي.

ولا يفوتنا القول بما أفادنا كتاب (ديوان المبتدأ والخبر وأخبار العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت808هـ/1405م)، فهو من المصادر المهمة ولا يمكن للباحث الاستغناء عنه لاسيما في موضوعات الوظائف الإدارية والمؤسسات الحكومية، أما مؤلفات المقريزي (ت845هـ/1442م)، فإن الباحث يقف على مادة غزيرة في عصر الفاطميين ربما لا يرد ذكرها في كثير من المصادر، ففي مؤلفه (أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفاء)، أخبار نادرة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، ويتعرض الكتاب لكثير من التفاصيل عن أخبار رجال الدولة.

ثانيا: التراجم:

ومن المؤلفات المعاصرة للدولة الفاطمية (الإشارة إلى من نال الوزارة) لأبي القاسم علي بن منجب الصيرفي (ت542هـ/1148م)، وهو أول كتاب ألف عن تراجم الوزراء المصريين.

ثالثاً: الكتب الحديثة:

أما المراجع الحديثة فكان لها الأثر في إغناء البحث، منها (الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد) أمين السيد فؤاد، و(تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق) لجمال محمد سرور، و(نظم الحكم بمصر في العصر الفاطمي) (ت358-567هـ/968-1171م)، لمشرفه عطيه مصطفى، فضلا عن كتاب الوزارة والوزراء، للمناوي محمد حميد.

وأخيرا بحثي هذا يعطي محاولة لإعطاء صورة واضحة عن عمليات العزل ودوافعها وغاية ما أتمناه أن يكون البحث مفيد ونافع بأذن ، فإن أصبت فهذا فضلا من الله.

المبحث الأول: الجانب الإداري:

بعد استقرار المعز الفاطمي في مصر سنة (362هـ/972م)، تم إحكام نظام إداري للدولة يمكن وصفه بالعلمي لرقيه ودقته[1]، فكان الخلفاء يختارون وزراءهم من بين المَهَرة في تدبير إدارة الدولة[2]، يكلون أحياناً أمور دولتهم إلى موظفين في خدمتهم، يكون لهم حق تصريف الأمور بعد الرجوع فيها إلى الخليفة[3]، وبذلك الاختيار لموظفي الإدارة أثبت الفاطميون أنهم إداريون مَهَرة[1]، واستطاع

(1) سرور، محمد جمال، الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، (القاهرة، د.ت)، ص85.
(2) ماجد، عبد المنعم، نظم الفاطمين ورسُومُهم في مصر، مكتبة الأنجلوا المصرية، 1953م، ص92.
(3) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الشافعي، (ت911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه، خليل منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1418هـ/1997م): 116/2، ماجد، نظم الفاطمين، ص79.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا النظام أن يبقي الدولة حية مدة تفوق القرنين في الزمن على الرغم من أن الخلفاء الذين تعاقبوا على حكم القاهرة لم يتّسموا بالمقدرة والكفاءة الإدارية التي اتسم بها من سبقهم من الخلفاء[2]، وصار للفاطميين دولة واسعة الأرجاء، وهي في ذروة قوتها، لذا اتخذ الخلفاء الفاطميون سياسة العزل والابعاد للموظفين والعمال في دولتهم من الذين يحاولون خرق النظام الإداري المركزي للدولة، وجاءت عمليات العزل خاصة عند الخلفاء الأقوياء (341–487هـ/952–1094م) للسيطرة على شؤون الدولة في الجوانب الإدارية لما لها من أهمية في رقي الدولة وتطورها في مختلف المجالات، وفي عصر المستنصر بالله (427–487هـ) وصلت الخلافة إلى ذروتها ثم هوت، وضعف نفوذ الخلفاء ولاسيما بعد وفاة المستنصر وزادت سلطة الوزراء الذين استفحلت قوتهم وأصبح في أيديهم كل شيء.

. دوافع العزل الإداري:

عندما أعلن المعزّ لدين الله الفاطمي[*] عزمه للتوجه نحو مصر (361هـ/972م) واجه صعوبات كثيرة حتى تستقر له الأمور، منها سياسية، واقتصادية، واجتماعية، ومذهبية، تطلَّبتْ منه مسك زمام الدولة بيده وتصرفه بالأمور بما يراه، وهذا لا يعني أن المعز كان يقوم بكل نشاطات الدولة لوحده بل أحياناً يستعين بأصحاب الخبرة في الإدارة ممن يثق بولائهم، ولكنه واجه منذ البداية طموحات من استعان بهم، مما حدا به إتباع سياسة قوية اتجاههم وذلك بعزل الكثير منهم حتى تستقر الأمور.

إنَّ أول عملية عزلٍ حدثت عندما توجه المعز الفاطمي نحو مصر بعد التفكير في مَنْ يخلفه في المغرب، فوقع اختياره على (أبو أحمد جعفر بن علي بن حمدون الزناتي)[*].

فاستدعاه، وأَسرَّ أليهِ أنه يريد استخلافه في المغرب فقال: ((تترك معي أحد أولادك أو أخوانك جالساً في القصر وأنا أُدبر، ولا تسألني عن شيء من الأموال، إنْ كان ما أجبيته بإزاء ما أنفقه وإذا أردت أمرًا فعلته... ويكون تقليد القضاء والخراج من قبل نفسي))، فغضب المعز الفاطمي وقال :((يا جعفر عزلتني عن ملكي وأردت أنْ تجعل لي شريكاً في أمري واستبددت بالأموال والأعمال دوني، قم فقد أخطأت حظك، وما أصبت رشدك))[3]، واستدعى (المعز يوسف بن زيري الصنهاجي)[**]، وقال له ((تأهب خلافة المغرب))[4].

يبدو أن أول حادث عزل إداري اتخذه المعز الفاطمي للمحافظة على ملكه في المغرب من طموحات (أبو أحمد بن جعفر بن علي بن حمدون الزناتي) في السيطرة على شؤون المغرب العربي والتحكّم فيها إدارياً واقتصادياً، بعد أن أراد المعز الفاطمي من الوالي أن يدير البلاد من قبله.

وعند وصول المعز الفاطمي إلى القاهرة سنة (362هـ/972م)، عُني بالجانب الإداري[5]، فلم يتخذ وزيرًا وإنما أعتمد على كبار

---

(1) القلقشندي، أحمد بن علي (821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه، نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، (بيروت ، د.ت): 493/3، وماجد، نظم الفاطمين، ص103.

(2) سرور، الدولة الفاطمية، ص 85-86.

(*) المعز لدين الله، ابو تميم سعد بن إسماعيل بويع له بولاية في حياة أبيه سنة (341هـ/952م)، وهو أول الخلفاء العلويين في مصر عمره خمس وستون سنة وله في خلافته ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام توفى سنة (365هـ/956م) ينظر: الأنطاكي، يحيى بن سعيد(ت458هـ/1267م) تاريخ الانطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت ـ 1909م)، ص176. ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، عنى بالمراجعة والتعليق عليه، نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي (1387هـ/1967م): 69/7. المقريزي، تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت845هـ/1441م)، أتّعاظُ الحنُفَا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية (بيروت ـ 1422هـ/2001م): 175/1.

(*) ابو أحمد جعفر بن علي بن حمدون الزناتي (364هـ/974م)، كان سمحاً كثير العطاء مؤثرًا لأهل العلم وكان بينه وبين زيري بن مناد الضحاجي محاسدة. ينظر بن خلكان، شمس الدين أحمد بنمحمد بن أبي بكر (ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه، إحسان عباس، دار صادر، (بيروت 1977م):83/1.

(3) المقريزي، أتّعاظُ الحنُفَا: 175/1.

(**) بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، أبو الفتوح، سيف الدولة (المسمى يوسف)، يرفع نسبه إلى حمير، مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس كان بدء أمره من قواد المعز الفاطمي، ولاهُ أفريقية ما عدا صقلية وطرابلس وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح، ينظر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان92/1، وابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي(ت808هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية (بيروت 1413هـ/1992م): 92/1.

(4) المقريزي، أتّعاظُ الحنُفَا: 175/1.

(5) المقريزي، أتّعاظُ الحنُفَا: 203/12، وماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ص96.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رجال الدواوين من المصريين ولقبهم بألقاب منها: الموقع، أو المدبر بمعنى يتصرفون في الأمور بعد الرجوع إليه[1].

وفي يوم الجمعة الثالث عشر من محرم سنة (364هـ/974م)، عَزَلَ المعز قائده (جوهر الصقلي)[*] عن دواوين مصر وجباية أمورها وأدار الأمور كُلّها بنفسه[2].

يمكننا القول أن سبب العزل خشية المعز من اتساع نفوذ جوهر وشعبيته ومن ثَمَّ طموحه للتحكم بمصير الدولة لذلك شدد المعز من إشرافه على الأمور العامة للدولة مستعيناً ببعض الموظفين الذين هم أقل نفوذاً من (جوهر) واستعمل قدراته الإدارية والسياسية وذلك لرغبته في أنْ يكون رجل الدولة الأول وحذر من تغلغل رجال دولته وبعد ذلك.

قام المعز بإناطة جميع أعماله دواوينه إلى (يعقوب بن كلس)[*] سنة (363هـ/973م)[3].

يقول المقريزي[4]: ((قلد المعز الخراج ووجوه الأموال جميعها والحِسْبة[**] والسواحل والجوالي[***] وما يطوى في مصر وسائر الأعمال))، إذ باشر يعقوب في وضع نظام مركزي لمصر متدرج يأتي على رأسه الخليفة وتقاسمت إدارة هذا النظام سلطات ثلاثة إدارية وقضائية ودعائية[5].

على الرغم من الكفاءة والمقدرة المشهودة ليعقوب بن الكلس، إلا أن تلك لم تشفع له إزاء سياسة العزل التي اتبعها الخليفة المعز بل عاقبه وصادر أمواله سنة (364هـ/974م)، حينما اتهمه بقتل خادمه وحاجبه بالسم لعداوة بينهما[6].

ولعل التنافس الإداري والقرب من المعز الفاطمي والحصول على رضى الخليفة الذي تميز بالقوة والدهاء في السيطرة على شؤون الدولة كان الدافع الأساسي لدى الأطراف المتصارعة.

ولما توفى المعز الفاطمي سنة (365هـ/975م) وتولى ابنه العزيز بالله (365-386هـ/975-996م)، الخلافة وأقام

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط القزيزية، تحقيق زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي (القاهرة، 1998م): 149/2.

(*) جوهر الصقلي، هو أبو الحسن جوهر بن عبدالله الكاتب، مولى المعز لدين الله ، ولد سنة (312هـ/924م) بجزيرة صقلية إحدى جزر الدول الرومانية، وتوفى سنة (381هـ/991م) وهو الذي بنى مدينة القاهرة (381هـ/991م)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 155/7؛ وابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر الحافظ الدمشقي (774هـ/1372م)، البداية والنهاية، حققه أحمد ملحم، علي نجيب عطوي فؤاد السيد مهدي ناصر عبد الساير، دار الكتب العلمية (بيروت - د.ت): 302/11؛ وشخو، الويس(923هـ/1517م)، وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام، حققه وزاد عليه وقدم له، الأب كميل حشمه اليسوعي، المكتبة البولسيه، (لبنان- 1987م)، ص157؛ وحسن، علي إبراهيم، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة للطباعة والنشر، ط2، (القاهرة 1963م)، ص9-17.

(2) ابن كثير، البداية والنهائية: 284/11، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 287/1، ومحمود مقديش (1228هـ/1831م)، نزهة النظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزاوي ومحمود محفوظ، دار المغرب الإسلامي، ط1 (بيروت، 1988م): 357/1.

(*) يعقوب بن كلس، بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن داود ولد في بغداد وتعلم الكتاب ومبادئ الحساب ثم انتقل مع أبيه إلى بلاد الشام سنة (331هـ/942م)، وسافر إلى مصر توفى سنة (386هـ/996م)، القضاعي، ابو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر (454هـ/1062م)، عيون المعارف وفنون أخبار الخلائق ويليه ابن ابي الهيجاء الأمير عز الدين ابن ابي الهيجاء الهذبائي الأربلي (ت5700هـ/1300م)، تحقيق: أحمد المزيد، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1425هـ/2004م)، ص165، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 118/1، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 172/1.

(3) ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي(555هـ/1160م)، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: أمر روز، مطبعة اليسوعيين، (بيروت، 1908م)، ص23، المقريزي، الخطط: 232/1.

(4) أتعّاظُ الحنُفَا: 210/1.

(**)الحسبة: وظيفة من الوظائف المهمة التي ظهرت في الدولة العربية الإسلامية، حيث كان يتولها شخص المحتسب، وتكون وظيفته مراقبة الأسواق وكل ما يجري فيها بما في ذلك سلوك الناس ومعاملاتهم. ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي(ت729هـ/1328م)، معالم القربة في احكام الحسبة، عني بنقله وتصحيح روبن ليوي. (كيمبرج : 1356هـ/1937م)، 7؛ الكبيسي، حمدان عبد المجيد، أسواق بغداد حتى نهاية العصر البويهي، (بغداد: 1400هـ/1979م)، ص314-315.

(***) الجوالي: أو الجالية هي الاسم الشائع في الاستخدام الإداري في مصر لتعريف الضريبة المفروضة على أهل الذمة والتي تعرف في كتب الفقه باسم (الجزيه)، للمزيد من التفصيل ينظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (458هـ/1065م)، الأحكام السلطانية، صححه وعلّق عليه: محمد حامد الفقي، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، (قم:1406هـ)، ص142؛ ابن مماتي، أبو المكارم الأسعد بن المهذب الخطير أبي سعيد بن مينا بن زكريا المصري(606هـ/1209م)، قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطيه، (مطبعة القاهرة: 1943هـ)، ص317-318.

(5) ابن الصيرفي، أبو القاسم علي بن منجب بن سلمان (542هـ/1147م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، عني بتحقيقه والتعليق عليه، عبدالله مخلص، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، (القاهرة، 1924م)، ص94، ابن طوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني (ت524هـ-617هـ/1130-1120م)، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، حققه وقدم له، أيمن السيد فؤاد ، دار النشر فرانتس شتايز شتوتغارت، (1412هـ/1992م)، ص32-33.

(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 69/7، المناوي، محمد حميد، الوزارة والوزراء، دار المعارف، (القاهرة، د.ت)، ص36.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"منجوتكين"(*) قائدًا للجيش بدمشق سنة (382هـ/992م)، وأمدَّه بخمسمائة فارس وجهّز بالسلاح فشمل عسكره ثلاثة عشر ألف فارس فطمع في ملك حلب بعد وفاة صاحبها "سعيد الدولة بن حمدان"(**) وفتحها وحصل بينه وبين الروم صدام وتابعهم إلى أنطاكيا وأحرق ضياعاً ونهب ورجع إلى حلب لكن والي حلب "لؤلؤ"(***) خشي أن يبقى منجوتكين في حلب، فكاتب الوزير(****) الفاطمي وخواصه أن يحسنوا له الرجوع إلى دمشق والعودة إلى حلب في العام القادم ووعدهم على ذلك بالأموال الجزيلة فوافق هذا الرأي ما في نفسه لسوقه إلى دمشق.

ولما بلغ العزيز الفاطمي رجوعه عن حلب وعدم متابعة الروم أنزعج وعلم أنه بتدبير وزيره ابن المغربي فعزله وولى "صالح بن علي الروزباري"(*)(1).

ومن المفيد القول إن الخليفة العزيز عدّ ذلك عصيانًا لأوامره العسكرية في إكمال تحرير مدينة "حلب" وتم ذلك بمساعدة الوزير الذي اتخذ القرار من دون الرجوع إلى الخليفة العزيز الفاطمي مما سبب عزله وتعيين والٍ آخر حل محله.

وعندما استوزر العزيز الفاطمي "عيسى بن نسطورس" سنة (386هـ/996م)، وعين "منشأ بن إبراهيم"(**) وكيلاً للوزير وحاكمًا في بلاد الشام سنة (386هـ/996م)(2)، إذ فتح أبواب المناصب العليا في دواوين الشام لليهود وقدمهم وأبعد المسلمين العاملين فيها فبسط اليهود سيطرتهم على المناصب الإدارية(3)، إلى أن تقدمت إحدى النساء برقعة؟ للخليفة العزيز، ((في يدها صورة، "دمية" جاء فيها بالذي أعز اليهود منشأ والنصارى بعيسى بن نسطورس، وأذل المسلمين بك ألا كشفت ظلامتي))، وأقعدوها على طريق العزيز فلما مر العزيز رآها أمر بأخذها وقرأ ما فيها(4)، وعلم ما أُريد منها فقبض عليهما، وعزل ابن نسطورس والموظفين اليهود واستبدلهم بالمسلمين في الدواوين وأعمال الدولة وصادر من عيسى بن نسطورس ثلاثمائة ألف دينار(5).

الظاهر هذا التوجه الجديد كان بتأثير الرأي العام الإسلامي والسخط الذي عمَّ المسلمين وأحتجاجهم على سياسة الموظفين، فكان الواجب على العزيز بالله التدخل لإعادة الأمور إلى مسارها الصحيح حفاظاً على هيبة الدولة وسلطانها أمام الجماهير المسلمة.

فيذكر أن العزيز الفاطمي ردَّ النظر في الأمور إلى ((أبي الفضل جعفر بن الفرات)) والوقوف عليها فعجز عن القيام بما عوله

(*) منجوتكين، وهو أحد غلمان الخليفة الفاطمي (العزيز بالله) والذي ولاه دمشق سنة (381هـ/991م)، وبقي مدة سبع سنوات عزله الحاكم الفاطمي، ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص42 ؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت673هـ/1274م)، تاريخ الإسلام والمشاهير والأعلام، تحقيق: عمر سلام تدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1407هـ-1987م): 159/27؛ المعاضيدي، خاشع عيادة، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي، (بغداد:1395هـ/1975م)، ص67.

(**) سعيد الدولة بن حمدان بن سيف الدولة صاحب حلب وحمص وما بينهما كان في ميافارقين لما مات أبوه بحلب فقصدها وجلس على سرير أبيه سنة (356هـ/966م) توفى سنة (381هـ/991)، ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص41؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكى(874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدمه عليه محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1413هـ/1992م)، 163/4.

(***) لؤلؤ، أحد قادة الحمدانين في حلب وتولى الوصاية على أبي الفضل بن سعد الدولة بعد وفاة أبيه لأنه كان صغير السن، ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص42؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 151/7.

(****) الوزير أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن المغربي، لعب دورًا كبيرً في الحياة السياسية والأدبية في العراق ومصر وتولى الوزارة سنة (450هـ/1058م)، وصرف عنها سنة (452هـ/1060م)، ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص41؛ ابن طوير، نزهة المقلتين، ص106.

(*) صالح بن علي الروزباري، هو عراقي الأصل التحق في خدمة الفاطمين فتقلد ديوان الشام ثم تولى الوساطة، (398هـ/1007م)، بعد عزل حسين بن جوهر إذ نظر في الأموال ودبر الأعمال، ينظر: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص61، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، 562/3.

(1) النويري، شهاب الدين أحمد بن الوهاب (ت733هـ/1322م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، (بيروت - 1424هـ/2004م)، 100/28-101.

(**) منشأ بن إبراهيم، ظهر أسمه كأحد مقربي يعقوب بن كلس في وثيقة عبريه من وثائق الجنيزه، وقد ورد أسمه في المصادر العربية بصيغ مختلفة منها منشأ اليهودي أو منشأ بن إبراهيم أو منشأ الفرار اليهودي، والراجح أنَّ اسمه نشأ بن إبراهيم بن الفراء اليهودي وقد قرأه (ج.مان) في قطعة من وثائق الجنيز (القزاز بدأ من الفرار)، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 646/8؛ فيشل، ولتر ج، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية الإسلامية في العصور الوسطى، نقله إلى العربية، سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت: 148هـ/1988م)، ص79-81.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 146/7، والنويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: 104/28.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص37، وابن الأثير، الكامل في التاريخ: 146/7، فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية، 78-79.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 37، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص146، ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت677هـ/1278م)، أخبار مصر، نشر هزي ماسيه، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، (القاهرة، 1919م)، ص51، فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية، ص78-79.

(5) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 323/1، والنويري، نهاية الأرب، 104/8.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه واكتفى بذلك بعد أربعة أشهر ورد العزيز إلى "عيسى بن نسطورس"[1]، وظل في الوزارة حتى وفاة العزيز في رمضان سنة (386هـ/996م)[2].

وكان الخليفة العزيز إعتمد على ابن نسطورس في كثير من الأمور ولاسيما الشؤون المالية، لكن ابن نسطورس حابى أبناء جلدته من النصارى وعيّنهم في وظائف الدولة المختلفة، مما جعل المسلمين يضجون بالشكوى فقبض عليه العزيز وعزله تحت ضغط المغاربة الذين طالبوا بتولي "ابن عمار"[*] وفي المحرم سنة (387هـ/997م)، قبض ابن عمار على عيسى بن نسطورس وقتله[3].

وتولى القضاء للعزيز بالله الفاطمي (أبو الطاهر)[*] واستمر يقضي بين الناس حتى مرض وعجز عن أداء مهامه، زاره الخليفة فشاهده محمولا عاجزًا عن الحركة، فسأله ان يأذن له في استخلاف ولده نيابة عنه[4].

يبدو أن سبب العزل عدم القدرة على أداء مهامه القضائية وما به من ضعف، فقال العزيز الفاطمي: ((ما بقي ألا أن يقددوه))[**][5]، أما "بكجور"[***] فحكم دمشق سنة (372-378هـ/982-988م)، ولما لم يُحسن إدارة البلد بسبب سوء معاملته لأهل المدينة، قام الخليفة بعزله ليظهر مدى قوة الخلافة، ولكي يكون قريباً من مطالب الرعية في السيطرة على شؤون دولته، فحاول أنْ يتمرد على الخليفة فَجّهز له جيشاً كبيرًا لقِتاله[6].

وعندما تولى الخليفة الحاكم بأمر الله سنة (386-411هـ/966-1021م)، الخلافة كلَّف "ابن ابي نجدة" بإدارة الحسبة فأساء معاملة الناس في الجوانب الإدارية فأعتُقل وعُزِل، ثم قُطعتْ يدُه ولسانه وشُهر على جمل وضرب عنقه[7].

يبدو أن الحاكم الفاطمي شديد الحرص على حسن معاملة الرعية على مختلف أديانهم ومذاهبهم، لذا كانت عقوبة من يحاول أن يستغل منصبه ولاسيما في الجوانب الإدارية قاسية لضمان تحقيق سير العدالة بين الرعية[8].

وفي خلافة المستنصر (427-487هـ/1029-1035م)، تولى الوزارة أبو البركات الحسين عماد الدولة محمد بن أحمد الجرجرائي[*] سنة (441هـ/1049م)، وكان سيء السيرة[9].

يقول المقريزي[10]: ((وكانت أيامه كلها رديئة لكثرة القبض على الناس والمصادرات وإصطفاء الأموال [...] فكثر الذم وكان أيضاً يبطش بمن يبطش عن غير علم الخليفة ولا إستئذانه...)).

---

(1) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 182/1.
(2) الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص25، ابن طوير، نزهة المقلتين، ص105، المناوي، الوزارة والوزراء، ص242-245.
(*) ابن عمار، الحسن بن عمار بن علي الكلبي ابو محمد من الذين تولوا الوساطة للخليفة الحاكم بأمر الله سنة (386هـ/996م)عزل عن مهامه عام (387هـ/997م) قتل سنة (390هـ/999م) على يد مجموعة من الأتراك، ينظر: ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص25، ابن ميسر، أخبار مصر، ص63، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 314/5.
(3) الأنطاكي، تاريخ، ص180، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 313/1.
(*) أبو الطاهر الذهلي، محمد بن أحمد بن عبدالله بن نصير بن عبدالله ابن صالح بن أسامة الذهلي، أصله من البصرة ولد (280هـ/893م) وتوفى في خلافة العزيز بالله الفاطمي، الكندي، أبو عمر يوسف المصري (350هـ/916م)، الولاة وكتاب القضاة، مهذباً ومصححاً بقلم رفن كست، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت، 1908م)، ص587.
(4) الكندي، الولاة وكتابُ القضاة، ص587، ابن طوير، نزهة المقلتين، ص68.
(**) قدد، مجزع: أي مقطع طولاً وعرضاً، ينظر: ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد أمين ابن مكرم (711هـ/1311م): لسان العرب، نشر أدب الحوزة، (1405هـ/1984م)، 48/8.
(5) الكندي، الولاة وكتابُ القضاة، ص587.
(***) بكجور، التركي مولى ـ قرعوية، أحد غلمان سيف الدولة الحمداني ولاه مدينة (حمص)، إلا أنه سرعان ما حدث خلاف بين "سعد الدولة الحمداني" صاحب حلب وبكجور فعزله عن حمص، للمزيد من التفاصيل ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 112/1-113، ابن كثير، البواقيت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق محمد كمال وفالح البكور، (حلب:1410هـ/1989م)، ص134-138، سرور، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرن الرابع والخامس الهجري، دار الفكر (مصر، 1959م)، ص49-51.
(6) الروذراوي، ابو شجاع الحسن بن عبدالله (ت488هـ/1095م)، ذيل تجارب الأمم ويليه تاريخ الصبابي لأبي الحسن المحسن إبراهيم (448هـ/1055م)، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1424هـ/2003م)، ص29، الأنطاكي، تاريخ، ص151.
(7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص52-53، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 163/4.
(8) المقريزي، أتعّاظ الحنُفَا: 351/1.
(*) الجرجرائي، هو عماد الدولة أخي الوزير أبي القاسم علي بن أحمد الجرجرائي ولي بعد قبض الفلاحي (440هـ/1048م)، صرفه عن الوزارة سنة (441هـ/1049م)، توفى بقيسارية، ينظر: الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص38-39، المقريزي، أتعاظ الحنفا، 41/2.
(9) المقريزي، أتعاظ الحنفا: 60/2.
(10) أتعّاظ الحنُفَا: 60/2.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الظاهر فشل الوزير في سياسته الداخلية في بلاد الشام، قد منح أعداءه سبيلاً إلى إغراء المستنصر الفاطمي به فحقد عليه لأستبداده في الأمور، فأمر بعزله ونفيه إلى مدينة صور(**) سنة (441هـ/1049م)[1].

وفي سنة (401هـ/1010م)، قلد الخليفة إمارة دمشق ((مصطفى الملك معز الدولة ذا الرئاستين حيدره بن الأمير عصب الدولة حسين بن مفلح)).

فعزلهُ بعد فترة أثر وشاية من ((أبي البركات الحسين محمد الجرجاني))، وذلك استبدادهم بأمور إدارة الدولة من غير أمر ولا استئذان الخليفة فقبض عليهم وعزلهم[2]، وذلك لخشية الخليفة من الطموحات السياسية في السيطرة على شؤون الدولة، وفي سنة (519هـ/1125م)، قبض الآمر بأحكام الله الفاطمي (495-524هـ/1101-1129م)، على وزيره المأمون البطائحي(*) فوجد له سبعين سرجاً من الذهب ومائتي صندوق مملوءة كسوة ومائتي سلة بلور لا يقدر على مثلها[3].

ويبدو أن سبب عزله سوء إدارة البلاد واستغلال مواردها فضلاً عن أنه بعث إلى "جعفر بن المستعلي" أخي الآمر بالله(**) يعزيه بقتل أخيه، ووعده أنه يعتمدهُ مكانه في الخلافة، فنقل "أبا الحسن على بن أبي أسامة" الكاتب، وكان مقرباً من الخليفة الآمر الفاطمي[4].

وفي خلافة العاضد الفاطمي سنة (566هـ/1160م)، بلغه أن صلاح الدين الأيوبي عزل الأمراء فشق عليه وأرسل إلى صلاح الدين يسأله بسبب العزل. فبعث إليه بأن هؤلاء الأمراء كانوا عصاة لأمر الخليفة والمصلحة العامة[5].

ويبدو أن سبب العزل كان ضعف الولاء لصلاح الدين لما قام به من إجراءات طامحة في السيطرة على شؤون الدولة.

مما تقدم نجد أن الخلفاء الفاطميون أولو اهتماماً كبيرًا في حسن إدارة الدولة لإظهار قدراتهم الإدارية والعلمية الراقية لاقناع المصريين أصحاب الحضارة بقدرتهم على حسن إدارة دولتهم الجديدة أولاً، وجعل مصر القاعدة القوية لانطلاقهم نحو العالم الإسلامي، حتى ينافسوا الدولة العباسية في بغداد، إذ توجب العمل من جانب الخلفاء على حسن اختيار رجالاتهم لقيادة الدولة والانطلاق بها نحو تحقيق طموحاتهم الكبيرة، وهي تأسيس دولة خلافة واسعة الأرجاء.

المبحث الثاني: الجانب السياسي

وقد حقق المعز الفاطمي أعظم إنجازاتهم على الإطلاق حين فتح مصر سنة (358هـ/969م)، إذ بفضل هذا الإنجاز تبوَّؤوا مكاناً بارزًا في التاريخ وأنشأوا عاصمة جديدة تعبر عن اتجاهاتهم السياسية والفكرية[6]، وأدرك الفاطميون أن السيطرة على مصر تعني تحقيق طموحاتهم السياسية، وهو السيطرة على حاضرة الخلافة العباسية بغداد[7].

ولم يكن فتح الفاطمين مصر مجرد قيام دولة مكان أخرى أو انتقال الحكم من العباسين إلى الفاطميين، ويُعدَّ هذا الحدث أكثر من مجرد تغير في الأسرة الحاكمة، نتج عنه انقلاب جذري، وديني، وثقافي، وسياسي، في المجتمع المصري وبسبب هذا التحول في

(**) صور: مدينة بحرية لبنانية مركز قضاء صور أحد محافظات الجنوب، تقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ينظر: المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن بكر (380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع حواشيه محمد أمين، دار الكتب العلمية، (بيروت:1424هـ/2003م)، ص143.

(1) ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، 38-39، المقريزي، أتعاظ الحنفا: 60/2.

(2) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 61/2.

(*) المأمون البطائحي، أبو عبد الله محمد بن الأجل نور الدولة أبي شجاع الآمدي، تولى سنة (515هـ/1121م)، قتل سنة (522هـ/1128م)، ينظر: ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص61-62، النويري، نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب، 176/28.

(3) المصدر نفسه ، 212/2.

(**) الآمر: أبو علي المنصور بن المستعلي، وهو العاشر من خلفاء الدولة الفاطمية، تولى الخلافة سنة (495هـ/1129م)، وبايع له الناس عن عمر خمس سنين وأشهر وأيام، قتل سنة (524هـ/1129م)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 205/8؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: 182/2، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة:225/2.

(4) الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص41، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 235/2.

(5) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 235/2.

(6) طقوس، محمد سهيل، تاريخ الفاطمين في شمال إفريقية ومصر وبلاد الشام، (297-567هـ/910-1171م)، دار النفائس (بيروت: 1428هـ/2007م)، ص9.

(7) سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي (1386هـ-1962م)، ص120.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نظام الحكم، خلق وضعاً جديدًا تماماً، فلأول مرة في التاريخ الإسلامي تحكم مصر دولة لا تدين ولو بالولاء الاسمي لبغداد[1].

ويُعدُ جوهر الصقلي في الواقع المنفذ الأول للسياسة الفاطمية التي كانت ترمي إلى أتخاذ مصر جسرًا يعبر عليه الفاطميون إلى الشرق لتأسيس خلافة فاطمية واسعة الأرجاء؛ لأنَّ جوهرًا هو الذي مَدَّ سلطان الفاطميين، إذ سمح له المعز بحكم البلاد أربع سنوات تعدَّ أدق فترات الحكم الفاطمي[2]، مما يدل على أن جوهرًا كان ذا رأي صائب وسياسة حكيمة ألف بها قلوب المصريين[3]، وإن هذه السياسة نبعت من قوة الدولة الفاطمية وقدرتها على الاستفادة من إمكانات الأفراد المنتمين إلى مختلف التكتلات الدينية والسياسية والاجتماعية التي كانت تؤلف مجموع الشعب المصري استفادة لم يسبق لها مثيل من قبل[4].

لذلك كان اهتمام الخلفاء الفاطمين دقيقاً في اختيار الأشخاص الذين ينفذون سياساتهم التي يراد لها مدَّ نفوذ الخلافة الفاطمية إلى العالم الإسلامي، فضلاً عن احترام الرعية لأنهم هم الأداة التي من خلالها تنفذ هذه السياسة، والابتعاد عن الصراعات الشخصية التي هدفها التقرب من الخليفة على حساب الرعية، ومن لم ينفذ هذه السياسة يكون مصيره العزل والإبعاد.

. دوافع العزل السياسي:

مرت على الدولة الفاطمية (358-567هـ/969-1117م)، أحداثاً تعاقبت عليها بين القوة والضعف، ففي المرحلة الأولى التي ابتدأت بالخليفة المعز الفاطمي حتى المستنصر بالله الفاطمي تميزت بالقوة السياسية.

وخلال خلافة العزيز الفاطمي سنة (365هـ/975م)، عزل القائد جوهر الصقلي، عندما قدم جوهر واخبره بتخاذل كتامه[*] فغضب غضباً شديدًا، وعذر جوهر في باطنه وأظهر التنكر له، وعزله عن الوزارة[5]، وولي يعقوب بن كلس عوضه في المحرم (368هـ/978م)، لكن الخليفة العزيز سنة (373هـ/983م)، قبض على يعقوب وحمل ما في داره الى القصر ونقل الدواوين من دار الوزير إلى قصر الخلافة وصادر أمواله البالغة مائة ألف دينار وجرده من ألقابه[6]، وقال العزيز: ((عزلت بالاغراء ورددت لصمم الآراء))[7].

أما بكجور واليّ دمشق (372-378/982-988م)، فلم يحسن السياسة فيها بسبب سوء معاملته لأهل المدينة[8]، فأمر العزيز الفاطمي بعزله[9]، وولي منير الخادم، ولم يستمر الحال حتى دبَّ الخلاف بين الوالي الجديد والخليفة، وذلك بتدبير"ابن أبي العود الصغير"[*] صاحب بيت المال، إذ اتهم الوالي بأنه يراسل الخليفة العباسي ووالي حلب الحمداني[10].

وفي خلافة الحاكم الفاطمي (386هـ/996م)، ولي الوساطة[**] "أبو نصير بن عبدون"[***] سنة (400هـ/1009م)، حتى

---

(1) طقوس، تاريخ الفاطميين، ص194.
(2) حسن علي، إبراهيم ، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي، إلى الفتح العثماني، ط4، (مكتبة النهضة المصرية ـ 1954م)، ص1124.
(3) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 103/1.
(4) أيمن السيد، فؤاد، الدولة الفاطمية في مصر، "تفسير جديد"، مكتبة الأسرة، (مصر، 2007م)، ص53.
(*) كتامه: وهي قبيلة كبيرة من البربر البرانس ينتسبون إلى كتم بن برنس ويقيمون فيما يعرف ببلد كتامه، وتعتبر كتامة من أشد قبائل البربر بأسا وتمتد حدود عمارة بلدهم من حدود جبل أوراس في الجنوب إلى سيق البحر ما بين بجاية وبونه، القاضي النعماني، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيوان التميمي(363هـ/973م)، رسالة افتتاح الدعوة ، رسالة في ظهور الدعوة العبيدية (الفاطمية)، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، (بيروت: 1970م)، ص57؛ ابن خلدون، العبر:4/31-32.
(5) المقريزي، أتعاظ الحنفا، 287/1.
(6) الأنطاكي، تاريخ: ص164، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا، 299/1، والنويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، 99/28.
(7) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب: 99/2، أيمن السيد، الدولة الفاطمية في مصر، ص54.
(8) الانطاكي، التاريخ، ص151؛ الروذراوي، ذيل تجارب الأمم، ص209؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص40.
(9) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 52-53.
(*) ابن أبي العود الصغير، صاحب بيت المال العزيز الفاطمي، قتل سنة (378هـ/988م) من قبل منير الخادم، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص40.
(10) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، 52-53، ابن أيبك الدارداري، ابو بكر عبدالله بن أيبك، أبو بكر عبدالله بن أيبك (736هـ/1335م)، كنز الدرر جامع المغرر، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق، صلاح الدين المجد، المعهد العالي المانى للآثار، 1961-1972، 332/6.
(**) الوساطة: ((يذكرها الماوردي وهو يشرح وزارة التنفيذ فيقول: ((هذا الوزير وسط بينه (يقصد الإمام) وبين الرعايا والولاة، يؤدي عن أمر وينفذ عنه ما ذكر ... فإن شورك في الرأي كان باسم الوزارة أخص، وأن لم يشارك فيه كان باسم الوساطة والسفارة أشبه)، الأحكام السلطانية، ص78.
(***) منصور بن عبدون (400-401هـ/1009-1010م)، تول ديوان الشام ثم قبض عليه وصودرت أمواله، ثم ولاه الحاكم سنة (400هـ/1009م)، الوزارة، قتل سنة (401هـ/1010م)، ينظر: القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص64، المقريزي، أتعاظ الحنفا: 374/1-376، والمناوي، الوزارة والوزراء، ص247.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحرم سنة (401هـ/1010م)[1].

ووصفه ابن القلانسي[2] بقوله: ((إنه كان نصرانياً خبيثاً جلدًا)) ظل يدير الأمور حتى عزله الحاكم الفاطمي، بسبب التفرد بالسلطة واستبداده بأمور الدولة، ثم عزل الخليفة الحاكم الفاطمي القائد (حسين بن جوهر)، يذكر المقريزي[3]: ((سبب عزل القائد تآمر عليه أبو نصر عبدون في أيام وساطته، ونال منه لدى الخليفة)).

إنَّ صراعاً على السيطرة على شؤون الدولة بين من بيده السلطة وبين المُتربصين له، لكي يحققوا طموحاتهم السياسية في إدارة شؤون الدولة السياسية، وهذا نهج اتبعه أغلب رجال الدولة الفاطمية.

وبعد ذلك ولي الوساطة "أبو الفتوح بن الحسين"(*) وذلك سنة (413هـ/1022م). فعزله ثم ولي الوساطة (أبو الفتح سعد بن ظاهر الوزان إلى أن عزله ثم وليَّ الوزارة عميد الدولة أبو محمد بن صالح الروزباري ثم عزله سنة (418هـ/1027م)[4]، ثم أتبع المستنصر بالله الفاطمي الأسلوب نفسه ولاسيما في الفترة ما بين (440–460هـ/1048–1067م)، وكان يكثر من عزل الولاة وتعيينهم وذلك ليأمن خطر المؤمرات والفتن الداخلية والخارجية التي شهدتها تلك الفترة[5].

وفي سنة (440هـ/1048م) ولّى المستنصر بالله الفاطمي القائد "طارق الصقلبي"(**) على دمشق وعزل ناصر الدولة "الحسين بن الحسين بن عبد الله بن حمدان وقبض عليه واستقدمه إلى مصر ثم عزل المستنصر الفاطمي طارقاً عن أمرة دمشق سنة (401هـ/1010م)، وولى مكانه "عدة الدولة المستنصري"(***)، ثم عزله وولى حيدره بن الحسن[6]، وفي خلافة المستنصر سنة (415هـ/1024م)، وجد عند الشيخ العميد "محسن بن بدواس"(****)، خط "حسان بن جراح" وخطه عند حسان بن الجراح وقد كاتبه يحثه على النفاق والإيقاع بالدولة، وهو أمين الخزائن عند الفاطمين، فعزل ثم ضربت عنقه وهو يصيح ويستغيث ويقول: ((والله ما خُنت ولا سرقت ولا غششت وهذه منصوبة نصبت عليَّ))[7].

والراجح أن ذلك صنع عليه وان فاعله الشريف العجمي الحسيني، وكان يتولى ديوان الرتيب[8] أو (الترتيب)(*)، والسبب يعود إلى التنافس السياسي على منصب الوزارة والتقرب من الخليفة المستنصر، ثم بعد ذلك ولي أبو الفرج البابلي(**) سنة (450هـ/1058م)[9]، وقد وصفه المقريزي[10] فقال: ((فلما ولي الوزارة بان للناس رقاعته وحدته وكثرة شره ما افتضح به))، كما سعى

(1) المقريزي، أتعاظ الحنفا: 374/1.
(2) ذيل تاريخ دمشق، ص61.
(3) أتعّاظُ الحنُفَا، 376/1.
(*) أبو الفتوح، الأمير شمس الملك بن المظاهر الوزان كانت نفره واسعة في خلافة الحاكم الفاطمي، ثم رد إليه النظر في رجال والأموال سنة (414هـ/1023م)، ينظر: ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص79، المسبحي، أخبار مصر، ص37، المناوي، الوزارة والوزراء، ص250-252.
(4) النويري، نهاية الأرب، 132/28.
(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص122-123، والمقزيزي، المقفى الكبير تحقيق: محمد اليعلاوي، دار المغرب الإسلامي، (بيروت، 1991م)، 304/2-305.
(**) طارق، بهاء الدولة وصارمها الصقلبي المستنصري تولى دمشق يوم الجمعة مستهل رجب سنة (440هـ/1048م)، وقرئ سجل ولايته، ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، هـ2، 247/5، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 59/2.
(***) عدة الدولة المستنصري، وصل إلى دمشق والياً الخميس الثاني عشر من المحرم سنة (441هـ/1049م)، ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص85، ابن ميسر، أخبار مصر، ص9، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، هـ3، 47/5.
(6) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 47/5.
(****) محسن بن بدواس، الشيخ العميد كان زماماً في ديوان الشام وأفرد ديوان الكتاميين أنتهى دوره في نهاية خلافة الظاهر لدين الفاطمي سنة (4001هـ/1120م)، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا، 16/2.
(7) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 28/2.
(8) المصدر نفسه :28/2.
(*) ديوان الترتيب: وهو من أهم الدواوين في العصر الفاطمي الأول، ويعرّف أحيانا بـ(ديوان الرتيب) وكانت وظيفته هي التنسيق بين دواوين الدولة كافة، وقد تولاه المؤرخ (المسبحي) أكثر من مرة في أيام خلافة الحاكم بامر الله. ابن طوير، نزهة المقلتين، ص57، مشرفة عطيه مصطفى، نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، (358-567هـ/968-1711م)، دار الفكر، (مطبعة الاعتماد: 1367هـ/1948م)، 513.
(**) ابو الفرج البابلي، عبد الله بن محمد عميد الخلافة، ولي الوزارة ثلاث دفعات عند القبض على اليازوري في محرم سنة (450هـ/1058م)، وصرف بعد شهرين وأربعة عشرة يومًا، ابن الصريفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص67.
(9) ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص67.
(10) أتعاظ الحنفا، 852/2، وللتفاصيل عن سيرته، 85/2-93.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في قتل "الحسن بن علي اليازوري" بغير أمر المستنصر فلما علمه بذلك عظم عليه وعزل البابلي.

يبدو أن التنافس السياسي والطموح للوصول إلى الوزارة على أشده بين الطرفين، وأن البابلي لم يحفظ الصحبة ولا رعى واجب الحرمة في اليازوري.

ومما يسترعي الانتباه ويلفت النظر هو كثرة عزل الوزراء والأمراء في أيام المستنصر وقد استطعنا أن نسجل عزل الوزير عن الوزارة واستبداله بأخر خمس مرات خلال الفترة (454هـ/1062م)، إلى سنة (466هـ/1033م)، وبعد ذلك ابتدأت وزارة بدر الجمالي(***) واستمرت إحدى وعشرين سنة، تحولت الوزارة من وزارة تنفيذ حينما كان الخلفاء هم أصحاب السطوة إلى وزارة تفويض، وتمكن بدر الجمالي من القضاء على المفسدين والمتمردين.

وفي خلافة العاضد الفاطمي (546هـ/1151م)، ولي شاور بن نزار وهو أول وزير عربي يتولى الوزارة من وزراء السيوف، كان "الصالح بن رزيك" قد ولاه الصعيد، ثم ندم على توليته، لكن أوصى ابنه بعدم عزله لعلمه بمدى قوة شاور(*) بين الأوساط العربية في مصر، ولكن ابنه خالف وصيته وعزله فثار عليه شاور واستطاع أن يحل محله في الوزارة.

يمكننا القول بعد عمليات فتح مصر نهض الفاطميون في استتباب الأمن لكسب طاعة المصريين للدولة الجديدة وبدأت سياسة التسامح منذ وصول الخليفة المعز الفاطمي إلى مصر، لما يملكه من قدرات إدارية فضلاً عن حسه السياسي ورغبته في أن يكون رجل الدولة، لذلك كان شديد الحرص على اختيار رجال قادرين على تنفيذ سياسته وعزل وابعاد من لم يستطيع تنفيذ تلك السياسة واستمرت هذه السياسة بعده، وهدفها أولاً السيطرة على الشؤون الداخلية، ثم الانطلاق لتحقيق الهدف الأهم وهو السيطرة على العالم الإسلامي ومنافسة للعباسيين.

المبحث الثالث: دوافع العزل الاقتصادي والاجتماعي:

ازدهرت الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الدولة الفاطمية نظرًا إلى الاهتمام الكبير الذي أبداه الخلفاء الفاطميون في مختلف المجالات المهمة كالزراعة والصناعة والتجارة، إذ نظم جوهر الصقلي الحياة الاقتصادية بما يتفق مع توجهات الدولة الفاطمية وسياساتها، وكانت مصر عندما فتحها تمر بأزمة اقتصادية شديدة لم تتوقف عن التفاقم منذ سنة (352هـ/963م)، واستمرت ثلاث سنوات بعد دخوله، فاعتنى في بداية عهده بالقضاء على المجاعة وتوفير الطعام للمصريين وتحقيق النظام بالتخفيف من الضائقة المعيشية من خلال اسقاط الرسوم الجائرة، فضلاً عن إصلاح النظام النقدي[1]، إذ كان المبدأ السائد في التنظيم المالي في ذلك العصر هو ألا تذهب إيرادات الدولة بأنواعها المختلفة إلى بيت المال أو الخزائن الخاصة، وإنما يخصص كل إيراد لنفقة معينة[2].

لذلك زاد غنى الدولة الفاطمية مما كان له الأثر الكبير في الحياة الاجتماعية، فقد اتخذت مظاهر خاصة وبلغ الترف والنعيم أقصاه[3] في بلاد الخلفاء والأمراء والوزراء مما جعل الأنظار تتجه إليهم لتحقيق مآربهم وأصبحت تبعاً لذلك طبقتان متميزتان تشمل الأولى الخليفة ورجال الدولة ومن يلوذ بهم، وتشمل الثانية العلماء والأدباء والتجار والصناع والمزارعين ، من هنا جاء طموح رجال الدولة الفاطمية الذين حاولوا الاستفادة من الثراء والنعيم لمصالحهم الشخصية لتقوية نفوذهم في السلطة على حساب المصالح العامة للدولة، لذا أتخذ الخلفاء الفاطميون سياسة العزل والأبعاد لإيقاف طموحهم في استغلال موارد الدولة، حتى يحقق الفاطميون هدفهم الرئيس لبناء دولتهم القوية ومن خلالها مد النفوذ[4].

(***) بدر الجمالي، أبو عبدالله ابو النجم (ت405-487هـ/1014-1094م)، أمير الجيوش المصرية، أصله من أرمينية أشتراه جمال الدولة بن عمار غلاماً، فتربى عنده، ونسب إليه وتقدم وقلده السيف والقلم وأصبح في دولة المستنصر المرجوع إليه، توفى بالقاهرة سنة (487هـ/1094م). ينظر: ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، 56-57، ابن ميسر، أخبار مصر، ص30، ابن خلكان، وفيات الأعيان: 448/5، المقريزي، أتعاظ الحنفا، 107/2.

(*) شاور بن نزار بن عشائر بن شاس بن حبيب بن الحارثة بن ابي دوايب وهو والد حليمة السعدية، مرضعة الرسول (ص) فيه نجابة وفروسية، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 181/9، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 236/2، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 322/5.

(1) المقريزي، أغاثة الأمة بكشف الغمة، قام على نشره، محمد مصطفى زياد، جمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة-1957م)، ص9 وما بعدها، طقوس، تاريخ الدولة الفاطمية، ص198.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى، 485/3، ماجد نظم الفاطميين، ص123.

(3) ماجد، نظم الفاطميين، ص122.

(4) سرور، تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق من عهد نفوذ الأتراك حتى منتصف الخامس الهجري، دار الفكر العربي، (القاهرة، لا ت)، ص6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: دوافع العزل الاقتصادي:

ولي المعز لدين الفاطمي (364هـ/974م)، منصب الوساطة إلى "علي بن عمر بن العداس"(*) وهو من القائمين على الخراج في أيام المعز لدين الله، ثم ولاه منصب الوساطة بعد وفاة يعقوب بن كلس في سنة (380هـ/990م)، إلا أنه لم يلقبه بالوزير، ثم عزله سنة (382هـ/992م)، نتيجة انكسار الخراج[1].

يمكننا القول إن الخراج هي الأموال التي تتولى الدولة جبايتها وصرفها على نشاطات الدولة، وفي حال قلتها أو انكسارها سوف يسبب ضرر على النشاطات الأخرى، التي تعود بالفائدة على الدولة الفتية، لذلك أتخذ الخليفة إجراء العزل حالاً.

وعندما توفى المعز لدين الله (365هـ/975م) وتولى ابنه العزيز سنة (365-386هـ/975-996م)، الخلافة، أعاد يعقوب بن كلس مرة أخرى إلى العمل في الدولة[2]، يبدو أن بن كلس بقي على اتصال مع اليهود، فقد جعل من يهودي يدعى "ابن أبي العود" نائباً له في إدارة أملاكه وأعماله في بلاد الشام[3]، وقيل على الخراج[4]، بل كان عيناً له حتى قتله "بكجور" والي الشام سنة (327هـ/938م)، ولما علم يعقوب بذلك اتخذ من الوالي موقفاً حازمًا ألب عليه الخليفة العزيز متهماً له بالعصيان[5].

وفي خلافة الحاكم بأمر الله (386هـ/996م)، ولي فهد بن إبراهيم أبو العلا، سنة (390هـ/999م) [6]، وكان المنهج الجديد في سياسة "فهد" أن يجلس بقصر الخلافة وينظر في الأمور ثم يعرضاها على الخليفة، غير أن فهد عزل ولقي حتفه في سنة (392هـ/1098م) بأمر الحاكم[7].

يبدو أن والي ديوان الحجاز الذي وشي به عند الخليفة، فأشار إلى الثروة التي جمعها "فهد" لنفسه من اقطاعات عديدة وفرَّ منها ستة ألاف دينار له بدلاً من ان يوفر هذه المبالغ للدولة[8]، مما سبب الفساد المالي وجمع على حساب مصلحة الدولة الفاطمية.

وفي خلافة الحاكم بأمر الله (386-411هـ/996-1020) خلع الخليفة الحسين بن طاهر الوزان(*) سنة (392هـ/1001)[9] واستمر في الوزارة حتى سنة (403هـ/1014م) وكان قبل متولياً لبيت المال، وقد حاول بن طاهر، أن يقف أمام اسراف الحاكم في الأنعام فتوقف عن إمضاء ما يقرره الخليفة فكتب إليه الحاكم بخطه بعد البسملة.

الحمد لله كما هو أهله.

أَصبحت لا أَرجو ولا أَتَّقي سوى إلهي وله الفضل

جدي نبيي، وإمامي أَبي ودِيني الإخلاصُ والعدل

المال مال الله عزَّ وجل، والخلق عباد الله، ونحن أمناؤه في الأَرض أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها والسلام، وفي سنة

(*) علي بن العداس، خلع عليه المعز لدين الله سنة (364هـ/374م)، ثم ولاه العزيز بالله منصب الوساطة بعد وفاة (يعقوب بن كلس)، سنة (380هـ/990م)، إلا أنه لم يلقبه بالوزير ثم عزله سنة (382هـ/992م)، ينظر ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص24، ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (ت685هـ/1286م)، النجوم الزاهرة في حلى المغرب والقاهرة ـ القسم الخاص بالقاهرة، من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق د.حسين نصار، مطبعة الكتب، (القاهرة-1970م)، ص354، المقريزي، الخطط: 432/2. المناوي، الوزارة والوزراء، هـ1، ص242-243.

(1) الأنطاكي، تاريخ، ص176، ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص24، المقريزي، أتعّاظ الحنُفَا، 306/1.

(2) أنطاكي، تاريخ، ص172، ابن ميسر، أخبار مصر، ص157، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 75/7، والنويري، نهاية الأرب، 94/28، أيوب، إبراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، (لبنان، 1997م)، ص65.

(3) فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية، ص78-79.

(4) النويري، نهاية الأرب، هـ1، 100/28، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا، 269/1.

(5) الانطاكي، تاريخ، ص24، الأزدي، ابن ظافر (613هـ/1216م)، أخبار الدولة المنقطعة، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة: 1422هـ/2001م)، 60.

(6) الأنطاكي، تاريخ، ص185، المقزيزي، أتعاظ الحنفا:341/1، الخطط: 437/2.

(7) المقزيزي، اتعاظ الحنفا : 341/1.

(8) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، 58.

(*) الحسين بن طاهر الوزان أبو عبدالله الملقب بأمين الأمناء وزير من أهل مصر كان متولي بيت المال في أوائل خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي وخلع عليه سنة (403هـ/1012م)، تغير عليه الحاكم وعزله وضرب عنقه، ينظر، الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص29، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 352/1.

(9) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 352/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(405هـ/1014م) عزله ثم ضرب رقبته[1].

وبعد ذلك عزل الخليفة "الحسين بن علي بن النعمان"[**] سنة (394هـ/1003م) وعن قصة عزله قال الكندي: ((وقتل حسين بن علي بن النعمان فاحرقه بالنار، وكان سبب عزله وقتله، أن الحاكم الفاطمي قد ملأ عينه ويده وشرط عليه العفة عن أموال الناس، فرفع إلى الحاكم شخص متظلم، يذكر فيها أن أباه مات وترك عشرين ألف دينار وأنها كانت في ديوان القاضي، وكان ينفق عليه منها مدة معلومة فحضر بطلب من ماله شيئاً فأعلمه القاضي، أن الذي له نفذ فاستدعى الحاكم الفاطمي القاضي فدفع الرقعة، فأجابه بما قال للرجل، وأن الذي خلفه أبوه أستوفاه، فأمر الحاكم بإحضار ديوان القاضي، ووجد أكثره باقيًا على القاضي[2].

وفي خلافة الآمر الفاطمي (495-524هـ/1101-1129م) أبلغ (الراهب)[*] خبر التاجر الذي استغله صاحب الديوان سنة (523هـ/1128م) عندما زاره الخليفة الآمر الفاطمي، فقال الراهب: ((إنَّ الناس قد تم عليهم من الشدة ما لا أَحسن أصفه وربما نسب ذلك إليك))، وشرح له الأمر أن صاحب الديوان جعفر بن عبد المنعم المعروف (بابن قيراط) ويعقوب إبراهيم السامري الكاتب وما أخذه من قادم إلى البلاد ويقال له "جديمو" فحلف الخليفة الآمر الفاطمي أنه لا علم له أنهم بلغوا بالناس هذا المبلغ فما بات حتى عزل صاحب الديوان[3].

لعل استغلال التاجر من قبل صاحب الديوان يعني عدم دخوله مصر في المرات القادمة، وذلك سيعود بخسارة لعائدات الدولة من خلال التجارة الخارجية، لذلك سارع الخليفة إلى عزل صاحب الديوان.

ثانياً: دوافع العزل الاجتماعي:

اهتم الخلفاء الفاطميون في المظاهر الاجتماعية لأثرها البالغ في نفوس المصريين، فضلاً عن إظهار عظمة الخلافة الفاطمية ومدى التطور في شؤون الحياة، وحرصوا على أن لا ينافسهم من الوزراء والعاملين في الدولة، ونظرًا لزيادة الثراء عمل بعض الوزراء والعاملين في منافسة الخلفاء، فكانوا لهم في المرصاد، ففي خلافة العزيز بالله الفاطمي (341-365هـ/952-975م) عظم شأن يعقوب بن كلس، ويرى ابن القلانسي ان يعقوب أعلن إسلامه طمعاً في الوزارة وحبًا في المناصب واشتياقا إلى الولاية[4].

فحاول إبعاد قبيلة كتامه التي كان لها أثر كبير في فتوح الفاطميين في المشرق والمغرب، إذ قال بعض شيوخهم لمبعوث الخليفة لهم ((سيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب))[5]، الظاهر من خلال هذه الرواية أنه أبعد قبيلة كتامه التي كان لها الأثر الكبير في فتح مصر بعد أن استعان بن كلس بأبناء قومه وأبعد كتامه عن المشهد الاجتماعي حتى يضعّف نفوذهم.

وفي خلافة الحاكم (386-411هـ/996-1020م) عمل على إعادة النظر في تصريف شؤون الدولة فقلد "برجوان"[*]، منصب الوساطة سنة (387هـ/997م)[6]، فأستعان هذا بالكاتب النصراني أبي "فهد بن أبراهيم"[**] ولقبه بالرئيس سنة (388هـ/998م)[7]، وهو من أبناء ريف مصر وأحد كبار موظفي الدولة علا شأنهم عندما تولى برجوان منصب الوساطة، فقام بتدبير الأمور، وعزله الحاكم

(1) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا، 385/1، المناوي، الوزارة والوزراء، ص248.

(**) ابن عبدالله الحسين بن علي بن النعمان محمد بن منصور بن أحمد بن حيوان المغربي تولى القضاء (389هـ/998م)، عزل عن منصبه سنة (394هـ/1003م)، الكندي، القضاة والولاة، ص598، ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ص396. المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا، 354/1، مشرف، عطية، النظم الحكم بمصر في العصر الفاطمي، (358-567هـ/968-1171م)، دار الفكر، مطبعة الاعتماد، (القاهرة: 1367هـ/1948م)، ص254.

(2) الولاة وكتاب القضاة، ص598، ابن طوير، نزهة المقلتين، ص69.

(*) الراهب، ابن ابي نجاح بن قنا النصراني، اتصل بالخليفة الأمر وبذل له في مصادرات الكتاب والنصارى فاطلق يده قتل سنة (523هـ/1128م)، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا، 218/2-223، شخو، وزراء النصرانية وكتابها، ص120.

(3) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا، 222/2-223.

(4) ذيل تاريخ دمشق، 32، المقريزي، الخطط: 232/2.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 97/7، المقريزي، الخطط: 188/2.

(*) برجوان، الاستاذ ابو الفتوح كان خدام الحاكم الفاطمي ومدبر دولته وكان نافذ الأمر مطاعاً نظر في أيام الحاكم في الديار مصر والحجاز والشام والمغرب، وكذلك سنة (387هـ/988م)، قتل سنة (390هـ/999م)، ينظر، ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص86، القلقشندي، صبح الأعشا، 402/3-403.

(6) الأنطاكي، تاريخ، ص24، الأزدي، ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص60.

(**) فهد بن أبراهيم، أبو العلاء النصراني، قتل سنة (393هـ/1002م)، ابن الصيرفي، الإشارة لمن نال الوزارة، ص89، الأنطاكي، تاريخ ص181، شيخو، وزراء النصرانية وكتابها، ص24.

(7) الأنطاكي، تاريخ، ص240، والشيال، جمال الدين، مجموعة الوثائق الفاطمية، دار المعارف، ط1، (1965م)، 131/1.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفاطمي ثم قتله سنة (390هـ/999م)، وقد وصفه بسوء الأدب[1].

وفي سنة (398هـ/1007م) أمر الحاكم الفاطمي (القائد حسين جوهر) والقاضي عبد العزيز بن النعمان[***] بأن يلزما داريهما ومنعهما من الركوب وسائر أولادهما[2]، وبعد ذلك عزلهما سنة (398هـ/1007م) ، وأما السبب تزايد نفوذهما الاجتماعي بين أبناء المجتمع المصري، نظرا لما تمتعوا به من مكانة اجتماعية منحتها لهم الدولة من خلال عملهم، وهذا على عكس طموح الحاكم في مد سطوته على جميع شؤون الدولة، فرأد أن يحد من هذا النفوذ حتى لا يفكر أحدهم في منافسة الخليفة ومكانته بين أبناء الشعب، وان لا تضعف نفوذ الدولة بين رعاياها، ثم ولي الحاكم الفاطمي سنة (401هـ/1010م) أحمد بن القشيري"[*] فلم يمكث في منصبه إلا عشرة أيام، عزله ثم ضرب عنقه في نفس سنة ولايته؛ وذلك لما بلغ الحاكم الفاطمي عنه أنه يبالغ في تعظيم الحسين بن جوهر أمام الرعية بعيدا عن ذكر الخليفة وعدم العناية بشؤون الدولة.

وفي خلافة الحافظ لدين الله سنة (524-544هـ/1149-1154م)، تولى الوزارة بهرام الأرمني[**] سنة (531هـ/1136م)، ونعت بسيف الدولة تاج الخلافة، فشق ذلك على الناس فضلاً عن تطاول النصارى في أيامه على المسلمين، ظل في الوزارة حتى طرده منها رضوان بن لولخشي[***][3].

ولعل سبب طرده من قبل رضوان بن لولخشي ازدياد نفوذهم الاجتماعي والسطوة الكبيرة على المسلمين ولعبهم دورًا اجتماعياً كبيراً في المجتمع المصري، مما أثار حفيظة المسلمين وخشيتهم على مد نفوذهم والسيطرة على الخلافة ومقدرات الدولة معا.

وفي خلافة الظاهر الإعزاز دين الله (400-427هـ/1020-1035م)، ولي القضاء، "قاسم بن عبدالعزيز بن النعمان" قرئ سجله بالقصر ولقب قاضي القضاة ثقة الدولة، لكن عزل في رجب سنة (419هـ/1028م)، ثم أعيد في سنة (427هـ/1035م) فاستمر إلى أن عزل سنة (441هـ/1049م)، وكان سبب عزله يقول الكندي[4]: ((لم يكن قاسم محمود السيرة)).

ومن المفيد القول إن اهتمام الفاطميين بالاقتصاد المصري كان له أبلغ الأثر في الحياة الاجتماعية، وبفضل الإجراءات التي اتخذتها الدولة بالاهتمام بالفلاحين الذين هم العمود الفقري لاقتصاد البلد بالتسامح واللين والرعاية بوجه عام، فضلاً عن اختيار أشخاص من أبناء البلد ذوي خبرة في الزراعة والاقتصاد وإبعاد المستغلين وعزلهم، وبذلك كانت معاملة الشعب على أيديهم خير منها على أيدي سواهم من الحاكمين.

الخاتمة:

إنَّ طبيعة الدولة الفاطمية واتجاهاتها السياسية كان لها أثر مهم في إدارة الدولة في مصر، فسرعان ما صارت مصر درة التاج الفاطمي، وذلك من خلال الإجراءات التي أتخذها الفاطميون في إدارة الدولة والتخطيط السليم، واعتمادهم على خبرات أبناء مصر من مختلف المذاهب والديانات من دون تمييز، ولم يستبعدوا أصحاب الخبرات الذين عملوا مع الدول التي سبقتهم، لكن هذا الحال لم يستمر بسبب طموحات بعض العاملين من الوزراء والوسطاء والولاة والعاملين الآخرين في الوصول إلى سدة الحكم مما جعل الخلفاء الفاطميين

(1) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 229/1.

(***) عبد العزيز محمد بن النعمان بن محمد بن أحمد بن حيوان المغربي القيرواني الاسماعيلي ولد عام (354هـ/965م)، تولى منصب قاضي القضاة سنة (394هـ/1003م)، وصرف عنه سنة (398هـ/1007م)، قتل سنة (400هـ/1009م)، الكندي، الولاة وكتاب القضاة، ص603، ابن خلكان، وفيات الأعيان، 55/5، السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، 148/2.

(2) المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 370/1.

(*) أحمد بن محمد القشيري، أحد كتاب الدولة الفاطمية ويغلب عليه أنه عراقياً نسبة إلى بني قشير وهي قبيلة كانت تسكن البصرة، السمعاني، ابو سعد عبد الكريم بن بكر بن محمد بن المظفر المنصور، (562هـ/1166م)، أنساب، تقديم وتعليق، عمر البارودي، (بيروت، 1408هـ/1989م)، 4/501-504، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا: 379/1، المناوي، الوزارة والوزراء، ص284.

(**) بهرام الأرمني(529/1136م) هو بن أسيد الوزير سيف الإسلام ، تاج الملوك وزير الخليفة الحافظ لدين الله، دامت وزارته سنتين إلا أيام، للمزيد ينظر: ابن طوير، نزهة المقلتين، ص35-79، ابن ميسر، أخبار مصر، ص79، المقريزي، اتعاظ النفا، 241/2، شيخو، وزراء النصارانية وكتابها، ص147.

(***) رضوان بن ولخشي، لقب نفسه بلقب الملك وهو أول وزير حمل هذا اللقب في العهد الفاطمي ومن أهم أعماله القضاء على سلطان الأرمن ومصادرة أموالهم وتجريد الخليفة الحافظ الفاطمي من السلطة قتل سنة (542هـ/1147م)، المقريزي،أتعّاظُ الحنُفَا، 229/2، المناوي، الوزارة والوزراء، ص313.

(3) ابن طوير، نزهة المقلتين، ص35، المقريزي، أتعّاظُ الحنُفَا، 241/2، المناوي، الوزارة والوزراء، ص313.

(4) الولاة وكتاب القضاة، ص619.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقومون بإجراءات العزل ولاسيما في عصر قوتهم.

وكان له الأثر الكبير في الجوانب الإدارية للدولة، لتنوع الخبرات من شخص إلى آخر مما سبب خللاً في إدارة الدولة.

إنَّ أول عملية عزل حدثت عندما توجه المعز لدين الله إلى مصر، عندما أراد تنصيب والٍ لإدارة الدولة نيابة عنه، ففرض الوالي عليه التصرف في الشؤون المالية ولاسيما جباية الأموال وإنفاقها، فضلا عن تقليد القضاء، وقد رفض الخليفة ذلك وعدهُ تجاوزاً على هيبة الخلافة، وكانت معالجته للأمر أن رفضه ونصب بدلا عنه والياً له، ولاؤه إلى الخلافة والدولة. أما عندما وصل المعز إلى القاهرة وضع الخطط لبناء دولته الفتية منذ اليوم الأول محاولاً إبعاد كل الطامحين للسيطرة على مقدرات الدولة معتمدًا على صغار الموظفين، وعالج الأمور بحزم حتى طالت عمليات العزل، مَنْ فتح مصر نفسه جوهر الصقلي خشيةً من اتساع نفوذه وشعبيته والحد من طموحه.

ولابد من القول أن سياسة العزل والإبعاد التي أتبعها الخلفاء الذين جاءوا بعد المعز، وأصبحت جزءًا من السياسة العامة للمحافظة على الدولة من الطامحين في مد نفوذهم.

أما الجانب السياسي، فقد مرت على الدولة الفاطمية أحداثٌ سياسية تعاقبت بين القوة والضعف، لقد وقف المعزل لدين الله موقفاً حازما اتجاه سياسة الدولة، بما يخدم أهدافها الرئيسية، وسار على النهج نفسه من خلفه، ففي خلافة المستنصر كان كثير العزل والتعيين، وذلك للحد من خطر الفتن الداخلية، وعالج كل من حاول إبعاد الدولة عن النهج الذي خطته الخلافة.

لقد اهتم الفاطميون بالسياسة الاقتصادية نظراً لأهميتها الكبيرة في بناء دولة قوية، وبناء قوة عسكرية تحمي مصالح الدولة، فازدادت ثروات البلد، وعمَّ النعيم في مصر، وشعر الناس بأمان، فحاول بعض العاملين الاستفادة من هذا الثراء لمصالحهم الشخصية، وجمع الثروات على حساب مصالح الدولة وسياستها، فكان خير علاج لهم هو سياسة الإبعاد والعزل، لكل من حاول استغلال المال العام حفاظاً على هيبة الدولة ومصالح الرعية.

أما الجانب الاجتماعي، تبنى الخلفاء الفاطميون المظاهر الاجتماعية لأثرها البالغ في نفوس رعاياهم المصريين، ولاسيما إظهار عظمة الخلافة وهيبتها، وحرصوا على أن لا ينافسهم في ذلك من عمالهم حتى تبقى عظمة الخلافة في نفوس المصريين والوافدين لها، وعندما حاول بعض العاملين تقليد الخلفاء الفاطميين ولاسيما في المناسبات الدينية والاجتماعية والأعياد العامة، وقف الخلفاء موقف للحد من ذلك عن طريق العزل والإبعاد.

والحق أن الفاطميين كانوا من الحذق والمهارة، بحيث استطاعوا في مختلف شؤون الدولة، أن يلفتوا إليهم نظر المجتمع المصري لفتاً قوياً وأن يشعروه بعظمة الحكم الفاطمي في مسك زمام الأمور بايديهم ولاسيما خلال خلافة المعز والعزيز والحاكم الفاطمي، أما المرحلة الثانية فقد تغيرت سيطرتهم على الأمور بعض الشيء ولاسيما بعد أن استعان المستنصر الفاطمي بالأرمن على أثر تدهور اقتصاد الدولة وكثرة المجاعات، وبذلك فقدت الخلافة من قوتها الشيء الكثير.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- **ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن الكريم الشيباني الجزري(630هـ/1232م):**

1. الكامل في التاريخ، عني بمراجعته والتعليق عليه، نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي (1387هـ/1967م).

- **ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي(ت729هـ/1328م)**

2. معالم القربة في احكام الحسبة، عني بنقله وتصحيح روبن ليوي. (كيمبرج : 1356هـ/1937م).

- **الأزدي، ابن ظافر، (ت613هـ/1216م):**

3. أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة-1422هـ/2001م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **الإنطاكي، يحيى بن سعيد (ت 458هـ/1267م):**
4. تاريخ الإنطاكي المعروف بصلة تاريخ اوتيخا ،طبع بمطبعة الإباء اليسوعيين ،(بيروت–1909م).
- **أبو بكر عبدالله بن أيبك (736هـ/1335م):**
5. كنز الدرر وجامع لاغرر، "الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، المعهد العلي المأني الآثاري(1961–1972م).
- **ابن تغري بردي، جمال الدين بن الاتابكي، (874هـ/1469م):**
6. النجوم الزاهرة في ملوك القاهرة، قدمه عليه محمد شمس الدين ،دار الكتب العلمية (بيروت–1413هـ/1992م).
- **ابن خلدون, ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي،(808هـ/1405م):**
7. تاريخ ابن خلدون، المسمى كتاب المعبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والمعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب العلمية، (بيروت –1413هـ/1992م).
- **ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر، (681هـ/1282م):**
8. وفيات الأعيان وأنباء الزمان، حققه أحسان عباس، دار صادر (بيروت– 1977م).
- **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت673هـ/1274م):**
9. تاريخ الإسلام والمشاهير والأعلام، تحقيق عمر سلام، دار الكتاب العربي، (بيروت–1407هـ–1987م).
10. سير أعلام النبلاء، تحقيق محي الدين أبي سعيد (بيروت – لات).
- **الروذراوي، أبو شجاع، الحسن بن عبد الله (ت488هـ/1095م):**
11. ذيل تجارب الأمم ويليه تاريخ الصبابي لأبي الحسن المحسن إبراهيم، (448هـ–155م)، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1424هـ/2003م).
- **ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى(ت685هـ/1286م):**
12. النجوم الزاهرة في حلى المغرب والقاهرة، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق: د.حسين نصار، مطبعة الكتب، (القاهرة–1970م).
- **السمعاني، أبو سعد عبدالكريم بن بكر(ت562هـ/1166م):**
13. أنساب ، تقديم وتعليق، عرم البارودي، (بيروت–1458هـ/1989م).
- **السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الشافعي (ت911هـ/1505م):**
14. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، وضع حواشيه، خليل منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1418هـ/1997م).
- **شيخو، لويس ،(923هـ/1517م):**
15. وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام ،حققه وزاد عليه وقدم له الأب كميل حشمه اليسوعي ،المكتبة البوليسية (لبنان –1987م).
- **ابن الصيرفي، ابو القاسم علي بن منجب بن سلمان (542هـ/1147م):**
16. الإشارة إلى من نال الوزارة، عني بتحقيقه والتعليق عليه، عبدالله مخلص، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، (القاهرة–1924م).
- **ابن طوير، أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيرواني (524**–617هـ/1130–1120م):
17. نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، حققه وقدم له، أيمن السيد فؤاد، دار النشر فرانتس شنو تفارت، (1412هـ/1992م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **القضاعي، أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر (454هـ/1062م):**
18. عيون المعارف وفنون أخبار الخلاف يليه ابن ابي الهيجاء الأمير عز الدين ابن أبي الهيجاء الهذبائي الأربلي، (ت700هـ/1300م)، تحقيق: أحمد المزيد، دار الكتب العلمية، (بيروت-1425هـ/2004م).
- **ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة بن اسعد بن علي بن محمد التميمي، (555هـ/1160م):**
19. ذيل تاريخ دمشق، تحقيق أمر روز، مطبعة الإباء اليسوعيين (بيروت-1908م).
- **القلقشندي، أحمد بن علي (821هـ/1418م):**
20. صبح الأعشى في صناعة الأنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية (بيروت -لات).
- **ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر الحافظ الدمشقي (ت774هـ/1372م).**
21. البداية والنهاية، حققه، أحمد ملحم، وعلى نجيب عطوي فؤاد السيد مهدي ناصر عبد الساير، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.ت)
22. اليواقيت والضرب في تاريخ حلب، تحقيق: محمد كمال، وفالح البلكور، (حلب -14100هـ/1989م).
- **الكندي، أبو عمر يوسف المصري، (350هـ/916م):**
23. الولاة وكتاب القضاة، مهذباً ومحصصاً بقلم، رفت كست، طبع بمطبعة الأباء اليسوعيين، (بيروت-1908م).
- **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (458هـ/1065م):**
24. الأحكام السلطانية، صححه وعلّق عليه: محمد حامد الفقي، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، (قم:1406هـ).
- **محمود مقديش، (1228هـ/1831م):**
25. نزهة النظار في عجائب التواريخ وأخبار، تحقيق: علي الزاوي ومجموعة محفوظ، دار المغرب الإسلامي، (بيروت -1989م).
- **المقريزي ،أبي العباس تقي الدين احمد بن علي بن محمد،(845هـ/1441م):**
26. اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق محمد عبد القادر، أحمد عطا، دار الكتب العلمية (بيروت1422هـ/2001م).
27. أغاثة الأمة بكشف الغمة، قام بنشره محمد مصطفى زياده، وجمال الدين شيال، مطبعة لجنة التأليف والنشر، (القاهرة-1957).
28. المقفى الكبير، تحقيق محمد العيلاوي، دار المغرب الإسلامي ، (بيروت-1991م).
29. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقزيزية، تحقيق زينهم مديحه الشرقاوي مكتبة مدبولي، (القاهرة-1998م).
- **المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن بكر (380هـ/990م):**
30. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع حواشيه محمد أمين، دار الكتب العلمية، (بيروت:1424هـ/2003م).
- **ابن مماتي، أبو المكارم الأسعد بن المهذب الخطير أبي سعيد بن مينا بن زكريا المصري(606هـ/1209م):**
31. قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطيه، (مطبعة القاهرة: 1943هـ).
- **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد أمين بن مكرم، (711هـ/1311م):**
32. لسان العرب، نشر آداب الحوزة، (1405هـ/1984م).
- **القاضي النعماني، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيوان التميمي(363هـ/973م):**
33. رسالة افتتاح الدعوة ، رسالة في ظهور الدعوة العبيدية (الفاطمية)، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، (بيروت: 1970م).
- **ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن حلب راغب (ت677هـ/1278م):**
34. أخبار مصر، نشر هزي ماسيه، مطبعة المعهد الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية، (القاهرة-1919م).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **النويري، شهاب الدين أحمد بن الوهاب (ت733هـ/1322م)**

35. نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى فواز وحكمت كشلي، فواز، دار الكتب العلمية (بيروت، 1424هـ/2004م).

ثانياً: المراجع:

- **أيمن السيد، فؤاد:**

1. الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، مكتبة الأسرة، (مصر –2007م).

- **أيوب، إبراهيم رزق الله:**

2. التاريخ الفاطمي الاجتماعي، الشركة العالمية للكتاب، (لبنان –1997م).

- **حسن علي إبراهيم:**

3. تاريخ جوهر الصقلي قائد المعزل لدين الله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، (القاهرة–1963م).

- **حسن علي إبراهيم:**

4. مصر في العصور الوسطة من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، ط4، (مكتبة النهضة المصرية، 1954م).

- **سرور، محمد جمال:**

5. تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، دار الفكر العربي، (القاهرة– لات).

6. الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي (القاهرة–لات).

7. النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرن الرابع والخامس الهجري، دار الفكر، مصر (القاهرة –1959م).

- **الشيال، جمال الدين:**

8. مجموعة الوثائق الفاطمية، دار المعارف، ط2، (1965م).

- **طقوس، محمد سهيل:**

9. تاريخ الدول الفاطمية في شمال أفريقية ومصر وبلاد الشام (297–567هـ/910–1171م)، دار النفائس، (1428هـ/2007م).

- **فيشل، ولتر.ج:**

10. يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية الإسلامية في العصور الوسطى، نقله إلى العربية ، سهل زكار، دار الفك، بيروت (1408هـ/1988م).

- **الكبيسي، حمدان عبد المجيد:**

11. أسواق بغداد حتى نهاية العصر البويهي، (بغداد: 1400هـ/1979م).

- **ماجد، عبد المنعم:**

12. نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، (مكتبة الانجلو المصرية، 1953م).

- **مشرفة، عطية:**

13. النظم الحكم بمصر في العصر الفاطمي (358–567هـ/968–1171م)، دار الفكر، (مطبعة الاعتماد– 1367هـ–1948م).

- **المعاضيدي، خاشع عيادة:**

14. الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي، (بغداد: 1395هـ/1975م).

- **المناوي، محمد حميد:**

15. الوزارة والوزراء، دار المعارف، (القاهرة –لات).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com